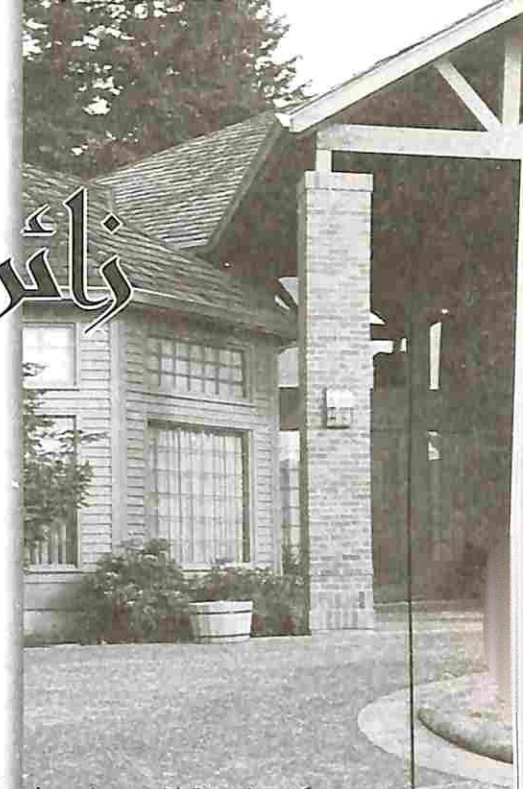

قصة قصيرة

زائر غير مرغوب فيه

بقلم / محمد يوسف التاجي
مصر

كنت في نقاش مع شيخي أرى أن الشيطان لا يمكن أن يتعقب المؤمنين بخاصة لأنهم مؤمنون بالله سبحانه، وكان شيخي يرى بخلاف ذلك أن الشيطان لا يزور العُصاة من خلق الله أو يترصدهم، لأن أمرهم بالنسبة إليه مفروغ منه، ولا يحتاجون إلى تضليله فهم ضالون بطبيعتهم. بل هو يترصد المؤمنين منهم الذين يتنكبون طريقه عملا بقوله سبحانه: **(فبما أغويتني لأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين)**.

ولما كنت فرغت لتوي من صلاتي القلقة، وانشغلت حينا عن ترديد أذكاري وأورادي التي تعودت عليها كل ليلة قبل أن أوي إلى فراشي،إذ بي أراه أمامي - لم أتنبه إلى أنه دق جرس الباب، وأني فتحت له أم لا؟!- كان رجلا طويلا شديد النحافة يشبه إلى حد ما جاري. لا أكاد أتبين ملامحه من شدة بروز عظامه، ذا عينين ناريتين، شديدتي الغور، ذاصوت يشبه الفحيح ارتعدت له بمجرد سماعه يلقي عليَّ تحية المساء.

كنت قبل أن أراه مباشرة أقلب في رأسي فكرة أن أستغل فرصة الارتفاع المفاجئ في سعر سلعة ما، اشتريتها قبلُ رخيصة، لمضاعفة أرباحي منها، وبقي أن أحدّد مقدار الزيادة التي ينبغي أن أضيفها للسعر القديم لأحقق ذلك الربح، تمهيداً لإتمام أمر لايعلمه أحد سواي إلا الله. عجبت له يخبرني به واضعاً كفه على كتفي وهو يقول:- يمكنك إضافة كذا إلى السعر لتجمع أكبر قدر من الربح يُعينك على استكمال البناء.

- لكن كيف عرفت أني بسبيل رفع سعر هذه السلعة، وأن عندي بناء أود استكماله؟!

- أبداً.. إنما أنا رجل على معرفة تامة بأحوال السوق هذا من جهة، ولعلك لم تنس أني تاجر أصلاً، وأني جارك القريب منك بحيث لايكاد يخفى عليَّ شيء من أحوالك وأحوال جيراننا الآخرين من جهة أخرى.

- لكن.. لماذا جئتني اليوم على وجه الخصوص؟!

- قلت أتسامر معك.. وأعينك قليلاً على همومك.

- لكنك تبدو وكأنك تردِّد ما بنفسي مما لايعلمه أحد سواي إلا الله؟!

- ما أردت إلا أن أنصح لك.. فما لك تفهمني خطأ؟! ومع أنه اختفى فجأة كما ظهر فجأة، فإني لم أستغرب ذلك لأني من البداية كنت أتوجَّس من زيارته هذه الغريبة. كيف جاء؟! كيف انصرف؟! كيف عرف ما بداخلي؟! كيف حرص على أن يشغل عقلي بهذا الشكل الغريب المثير؟! كيف؟! كيف؟!

بل إن إحساسي بالرِّعدة الذي صاحب حضوره صار يزداد بعد انصرافه أضعافاً مضاعفة!!

ولم أستطع أن أستمر في تفكيري هذا الذي أخذ بخناقي لأن جرس الباب رنَّ، فقمت لأفتحه وأستقبل - مُصعداً تنهداتي - شيخي الذي دخل إلى غرفة الجلوس وهو يسألني قبل أن يجلس: مالك؟!

- ماذا يبدو عليَّ؟!

- كأنك غريق انتُشلْتَ من جُبّ !!

- هو ذا..!

وبدأت أروي له كيف زارني الزائر الغريب، وكيف ارتعدت لرؤيته وتوجَّستُ منه خيفة، وكيف أطلعني على أمور مما كانت تدور في نفسي وحدي، لايعلمها سواي إلا ربي سبحانه. ثم ذكرت له ملحوظتي: دخوله وخروجه المثيرين إلى المكان، فقال:

- أو لم تعلم بعد من كان عندك؟! لقد كان زائرك هو الملعون، وأعاذنا سبحانه من مكره وشرّه.

- تقصد؟!!

فقال مقاطعاً: مَن لايُسمَّى.. نعم.. ألم تقرأ قوله صلى الله عليه وسلم **(إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدّم في العروق)**، ألا يكون بهذا عالماً بما كنت تحدث به نفسك؟!

- ولكنه جاء في صورة رجل من جيراني أعرفه!!

- ربما بدا لك كذلك، فالجن - وهو منهم على حد ماجاء بقوله سبحانه **(كان من الجن ففسق عن أمر ربه)** - لهم قدرة على التشكل والتمثل. وهي ولاشك ليست أول مرة يأتيك فيها؟!

هي أول مرة لظهوره في هذا الشكل. أما في المرّات السابقة، فلم يكن يأتي ظاهراً، كان يأتي في شكل وسوسة مُلِحَّة بالشَّر، كادت تودي ببيتي مرة مطلّقاً أم الأولاد، وكادت تودي بمستقبلي. ومرة أخرى محرِّضاً على عمل حرام، وها هو ذا يأتي هذه المرة ظاهراً ليودي بتجارتي التي أقمتها منذ بدأت على الحلال الصِّرف!

- المهم ألاّ يودي بدينك ويقينك. ولعلك لاحظت أنه دهمك فيها بوقت صلاتك وذكرك حتى شغلك عنهما.. أليس كذلك؟!

- بلى..

- فلماذا زارك أنت خاصة؟!

- لا أدري.

- لكني أدري. إنه زارك وأتباعه زاروا أمثالك من المؤمنين، ولا أجاوز الحق حين أقول ترصَّدك وترصَّدوهم ليخرجوكم عن الجادة المستقيمة كما سبق أن قلت لك، هل صدَّقت الآن؟!. أما رأيك فيمسُّ المتقين حقاً.. أولئك الذين غلبوا أعداءهم الثلاثة: النفس والشيطان والهوى!! أولئك في حصن الرحمن حقاً.. ولايقربهم الشيطان مطلقاً.. ذلك واضح من اعتراف الملعون لربه حين قال: **(قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين)**، وهو اعتراف مطابق لتقدير الله سبحانه الوارد في قوله: **(إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين)** كانت الأمور قد تكشّفت لي تماماً حتى وجدتني أقول:

- لست محتاجاً إذن لأسألك عما أفعله في هذا الموضوع الذي كان معتنى صاحب الفتوى فيه هو هذا الملعون!!

- طبعاً .. طبعاً.. اضرب بفتواه عرض الحائط، فليس أكثر بركة من الرزق الحلال..قليله كثير.. هيا ياشيخ.

ألا ماأخبثَه يودّ لو لم يُخْلَد في النار وحده. أن يجذب إليها من يجذب من خيرة خلق الله.. ألا لعنة الله عليه» ووجدتني أطوح بيدي في الهواء قائلاً: يا له من زائر غير مرغوب فيه حقاً!!